رسالة الكندى إلى أحمد بن المعتصم

فى

الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عزّ وجلّ

مقدمة

ألّف الكندى هذه الرسالة لتلميذه أحمد بن الخليفة المعتصم ، إجابة عن سؤال التلميذ عن معنى آية : « والنجمُ والشجرُ يسجدان »[1] . وقد ألفها بعد كتاب « فى الفلسفة الأولى » وبعد كتاب « فى الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد » ؛ ذلك لأن الكندى فى رسالته فى سجود الفلك يذكر الكتاب الأول ، ويبنى على الفكرة الأساسية التى فى الثانى .

وتدل هذه الرسالة على اهتمام العقول المتوثبة بمعرفة معانى آيات القرآن المتصلة بالكون وعلى استجابة الفلاسفة لذلك بتأويل القرآن تأويلا ذا محتوى فلسفى — وهذا من أكبر مميزات الفكر الإسلامى على الإطلاق .

ويبدأ الكندى رسالته بالدعاء لتلميذه وبالإشادة بآبائه الأعلام . وهو يعتبرها تفسيراً « بمقاييس عقلية » للآية القرآنية الكريمة ؛ وذلك لاعتقاد الكندى أن كلّ كلام النبى « الصادق » — كما يسميه — وكلّ ما بلّغه عن ربه ، يمكن فَهْمُه بالمقاييس العقلية التى لا يدفعها ولا ينكرها إلا الجاهلُ أو من حُرم منحةَ العقل . وهو يرى أن من يؤمن برسالة النبى ، عليه السلام ، ويجحد — مع ذلك — ما أتى به ، ويُنكر تأويل « ذوى الدين والألباب » : فهو ضعيف التمييز مبطلٌ لإيمانه وهو لا يشعر ، مثبتٌ جهلَه بمغزى ومقاصد ما جاء به النبى وبطريقة التعبير المشهورة فى كل اللغات وفى اللغة العربية ، من استعمال الألفاظ فى الدلالة على أشياء مختلفة .

---

(١) سورة ٥٥ (الرحمن) ، آية ٦ .

لذلك يمهد الكندى لتفسيره بأن يقول إن فى اللغة العربية أنواعاً كثيرة من تشابه الأسماء ، حتى إن اللفظ الواحد قد يُطْلَقُ على الشىء وعلى ضدّه ؛ ثم يتكلم عن المعانى المختلفة للفظ السجود : السجود المعروف فى الصلاة ، والطاعة بالنسبة للأشياء التى ليس لها الأعضاء التى بها يكون السجود ؛ ثم يقول : « إنّ جملة مالا يكون فيه السجود الذى فى الصلاة ، فمعنى سجوده الطاعةُ » ؛ وإذن فالكندى لا يتمسك من خلال اختلاف المدلولات إلا بالمعنى العام الذى يتمثل فى الفكر ، وهو فى هذا المقام يستشهد بشعر للنابغة يفسر فيه السجود بالطاعة .

ثم يحاول المؤلفُ أن يعزز طريقة تفسيره بذكر معانى الطاعة : التطور من النقص إلى الكمال ، كما يسمى زَكاءُ النبات وكثرته وإثماره طاعة ؛ وكذلك الانتهاءُ إلى أمر الآمر عن إرادة واختيار ، فهو طاعة من الأشياء التى لا تسير من النقص إلى الكمال .

ولما كانت الكواكب — أو الأشخاص العالية ، كما يقول الكندى متمشيا ، من وجه ما ، مع المأثور الفلسفى الذى انتهى إليه فى تصور الأفلاك العليا — لا تسجد سجود الصلاة ، لأنها ليس لها الأعضاء التى لذلك ، ولا هى — بحكم الثبات فى طبيعتها وعدم تعرضها للتغير — بمتطورة من النقص إلى الكمال ؛ فليس لها ، بحركاتها المنظمة المرسومة لها ، وبما ينشأ عن هذه الحركات من اختلاف الأزمنة ، وما يترتب عليه من كَوْن وفساد فى الحرث والنسل — ليس لها إلا السجود بمعنى الانتباه إلى أمر خالقها ، جلّ ثناؤه وبمعنى جريان حوادث العالم الأدنى على ما تجرى عليه .

* * *

بعد هذا الكلام العام ينتقل المؤلف إلى إثبات أن الفلك بجميع أجرامه « حىٌّ مُمَيِّزٌ » ، وذلك لكى يتضح « بأقاويل منطقية ظاهرة الإيضاح » معنى أنه مطيع طاعة اختيارية :

فلما كان قد تبين فى الرسالة السابقة أن الفلك هو العلة القريبة للكون والفساد على الأرض ، فإن الكندى يبدأ بحصر الاحتمالات فى أمر الجسم — وكذلك

الفلك — بأنه إما ان يكون حياً أو لا حياً ؛ ويردف ذلك بذكر أقسام العلل الطبيعية الأربع ، ويثبت أن الفلك لا يمكن أن يكون علة عنصرية (مادية)، ولا صورية، ولا غائيّة ، بحيث لا يبقى إلا أن يكون علة فاعلة ، وهو الفاعل القريب (المباشر) فى الكون والفساد الأرضيين .

ولما كان من الكائنات الفاسدات ، على الأرض ، الكائناتُ الحيةُ التى هى أجسامٌ حيّة حساسةٌ متحركة — وذلك خلافا للأجرام غير الحية التى لا تكون ولا تفسد ، بل يكون وجودها ابتداعا عن عدم ، ثم تعرض فيها الحياةُ عرضا — فالفلك هو العلة القريبة للكائنات الحية ، أعنى أنه هو الذى «يؤثّر» الحياة فيها .

و بعد أن يقرر الكندى أن العلة الفاعلة أشرف من معلولها ، يتكلم — على نحو لا يخلو من اضطراب — فى بيان أقسام الجرم المؤثر فى غيره إلى : ما يكون الأثر طبيعة (طبعا) فيه ، كالنار : فالحرارة طبيعة لها ، وهى تحدث الحرارة أثراً عارضا فى غيرها ؛ وما لا يكون الأثر طبيعة له ، بل هو لا يكون إلا فى محل تأثيره ، كالحائطية : فهى ليست فى البنّاء بل فى الحائط ، وكالعشق : فهو فى العاشق لما يعشق ، وليس موجوداً فى المعشوق .

ثم يذكر المؤلفُ أقسامَ الجرم الذى يُحدِث فى آخر أثراً ليس فيه بالطبع إلى : ما يكون تأثيره بحركة ، كالبناء ، وما يكون تأثيره بغير حركة ، كالمعشوق. ويذكر أقسام العشق إلى ما يكون بتوسُّط الحس . كما يعشق العاشق شيئاً محسوساً له ؛ وما لا يكون بتوسُّط الحس ، كعشق الحديد للمغناطيس . فالثانى يكون : إما سلوكا طبيعيا إلى الاتحاد بالمعشوق اتحاداً جسمياً ، كاتحاد جسم الحديد بجسم المغناطيس ، و إما سلوكا طبيعيا للاتحاد ، كسلوك الذى لا يكون أفضل إلى الفاضل بالطبع — وهو شوقٌ طبيعىٌّ إلى الخروج من القوة التى فى المعلول إلى الفعل الذى فى العلة .

و بعد أن يحصى الكندى أقسام الجرم المؤثر فى جرم آخر إحصاءً مرسلا يمزج فيه بين الأقسام السابقة : (١) مؤثر بالطبع ؛ يحدث ما فى طباعه ؛ (٢) مؤثر

يؤثر بالشوق الطبيعى ، (٣) مؤثر يُحدِث ما ليس فى طباعه — يذكر أن كل جرم يحدث فى جرم آخر ما ليس فى طباعه ، لابد أن يكون ذلك بآلة حيوانية غير خارجة عن المؤثر ؛ خلافاً للجرم الذى يؤثر فى غيره ما فى طباعه ، فهو لا يحتاج إلى آلة .

* * *

وإذ قد تقدم كلّ هذا ، يعود المؤلف إلى الفلك ، فيقرر أنه هو الذى يؤثر (يفعل أو يحدث) الحياة فى العالم الأرضى ؛ وهذا الفلك لا يخلو من أن يكون يؤثر بآلة حيوانية — فيكون حيواناً ، أو بغير آلة حيوانية ؛ وهنا إمّا أن يؤثر ما فى طباعه بالشوق أو بالغلبة — فتكون الحياة فيه طباعاً ، ويكون حيواناً بالضرورة .

وبعد هذا يعود الكندى إلى شىء قرره فى كتابه فى الفلسفة الأولى — لكنه ليس موجوداً فى الجزء الذى بين أيدينا — وهو أن الأشياء إما أن تكون : (١) شيئاً ، هو بالفعل أبداً ؛ أو (٢) شيئاً ، هو بالقوة أبداً ؛ أو (٣) شيئاً ، هو بالقوة ثم يخرج إلى الفعل . والثالث أحدثُها ، لأن الأول متقدمٌ عليه وأصلٌ له ، فهو علة له ؛ ولأنه لو لم يكن كذلك ، لكان الثالث قد خرج بذاته إلى الفعل ، فكان أبداً — على حين أنه كان بالقوة ، ولم تكن له ذات ؛ فلا يكون علة لشىء بتّة .

فالأشياء الخارجة من القوة إلى الفعل هى التى تقع تحت الكون وتخضع لقانون التغير من حال إلى حال ، والشىء الذى بالفعل أبداً هو الذى لا يقع تحت الكون ؛ والثانى علة الأول بالضرورة .

وإذَنْ فالفلك ، بحركته الدائمة على أنحاء معينة ، هو علة ما ينشأ عنها ، خارجاً من القوة إلى الفعل ، وذلك هو الحياة على ظهر الأرض بما فيها من حركة الحيوان .

وينتهى الكندى من هذا كله ، على نحو ما ، إلى أن حركة الفلك حركةٌ حيوانية ، هى له من ذاته ، وإلى أن جرم العالم أو الجرم الأقصى كائن حىٌّ ، وأن حياته علةٌ لحياة ما على الأرض ؛ لكنه دائمُ الحياة بالشخص ، غير نامٍ وغير كائن

ولا فاسد ، بل « مُبْتَدَعٌ ابتداعاً » عن عدم — خلافا لحياة ما على الأرض ؛ فهو تامٌ كائنٌ فاسد ، إلا أنه دائم الحياة بالنوع بما فيه من إحساس وحركة .

ثم يقارن بين الفلك ، من حيث هو حيٌّ ، وبين غيره ؛ فينفى عنه من صفات الحيّ ومن آلات الحياة ما يكون لعلةٍ كالنمو وكل ما يخدمه من حواس ؛ وهو لا يثبت للفلك إلا « الحسّين الشريفين » اللذين هما — فى نظره — البصر والسمع ؛ لأنهما ليسا بآلة للنمو ، بل لنيل الفضائل العلمية والفلسفية .

* * *

وينتقل الكندى بعد هذا إلى البحث فى : هل الأجرامُ العليا عاقلةٌ مميزة أم لا ؛ وهو يستند فى هذا إلى ما أثبته لها من الحس السمعى والبصرى و إلى قاعدة يقررها ، وهى أنه « ليس فى الطبيعة شىءٌ عبث و بلا علة » ؛ فلما كان للفلك الحسّان الشريفان — وكانت الطبيعة لا عبث فيها — فلابد أن يكونا لما هما وسيلةٌ إليه ، أعنى نيل الفضائل ، أو لما هو سبب لها ، أعنى التمييز والتفكير — و إذَنْ فالأجرام لها قوة التمييز والنطق .

ويلى هذا دليل آخر على أن الأجرام ناطقة ؛ فهى لو لم تكن كذلك — مع أنها ، بحسب الترتيب الإلهى ، هى العلة القريبة الفاعلة لوجودنا وعقلنا — لكان المعلول أشرف من العلة ، وهو ما لا يقول به أحد .

وهى إما أن تكون أوجدتنا ناطقين بحسب ما فى طباعها ، فهى ناطقة ؛ و إما أن تكون فعلت ذلك بآلة حيوانية ، فلابد أن تكون هذه الآلة أتقن الآلات وأحكمها — أعنى ناطقة — فتكون الأجرام ناطقة بالضرورة .

ولما كانت الأشخاص العالية لا تحتاج ، من بين القوى النفسانية الحيوانية الثلاث ، إلى ما يحتاج إليه الكائن الحىّ فى حفظ صورته ونوعه ، سقطت عنها القوّتان الغضبية والشهوية ، وبقيت لها القوة النطقية — وهذا على أساس أنها كائنات حية ، كما حاول الكندى أن يثبت من قبل .

ويأتى بعد هذا دليل إقناعى أدبى ملخصُه : أننا لو نظرنا إلى عظم الكون بالنسبة للأرض — التى لا تعدو أن تكون علامة صغيرة وسط الكون —

ونظرنا إلى ضآلة عدد الآدميين الناطقين ، وراعينا أن الناطق أفضل من غير الناطق ، فكأنّ الأفضل هو الذى يكاد لقلته بالنسبة لغيره أن يكون لا شىء . وفى هذا تضييق لقدرة الله ، بل هو وضع لها فى وضع يجعلها أدنى من « قدرة الرجل الصالح الذى أكثر أعماله الأمر الأفضل » .

ثم يصل الكندى بهذا الدليل استطراداً للكلام فى قدرة الله ، وفى آيات حكمته فى الخلق ، وفى أنواع الكائنات والمقارنة بينها من حيث مدة الوجود المقسومة لها ، وفى أنواع الجواهر البسيطة والمركبة والحية وغير الحية — أعنى النفسانية وغير النفسانية — والنفسانية الناطقة وغير الناطقة ، والفاسدة وغير الفاسدة وهكذا ؛ ثم يقرّر أن الكلّ متحركٌ حركة مكانية ذات أنواع — عدا نقطة ثابتة وسط الكل — وأن منه ما هو متحرك حركة غير مكانية بأنواعها ؛ ويتنهى أخيراً إلى أن إخراج كل ممكن من القوة إلى الفعل — وهذا الخروج إلى الفعل هو السجود من جانب الممكنات لمبدعها — هو مقتضى القدرة الإلهية ، وهو السياسة الحقيقية التى ترمى إلى الأصلح فى كل ما تفعل ، وإلى أن النظر إلى عظمة الكون فى جملته — لا إلى ما يكون فيه من عظم شجر أو حيوان — هو الذى ينبغى أن يكون ، عند « ذوى العقول النيرة » ، مقياسَ الإحساس بعظم القدرة الإلهية — وهكذا يتصور الإنسانُ ، من موقفه كعالم صغير تنطوى فيه خصائص العالم الأكبر ، الكونَ الأعلى فى جملته حيواناً هائلاً واحداً متصل البناء لا فجوة فيه ولا فراغ .

وتنتهى الرسالة بالمقارنة بين الإنسان ، باعتباره العالم الأصغر ، وبين الكون الأكبر وبيان خصائص الثانى فى الأول وبأنه ليس بمستنكر أن تكون القدرة الإلهية قد اقتضت خلق العالم العلوى حيواناً له كل الصفات الحيوانية العليا .

وتتردد فى الرسالة فكرةُ أن العالم العلوى مبتدَعٌ ابتداعاً ، وله مدة مقسومة يتوقف دوامُها على إرادة مُبدِعه ؛ وأن ما تحته حادث بفعله ، وله أيضاً مدة مقسومة .

ولا شك أن موضوع هذه الرسالة فيه بالنسبة للفكر الإسلامى — وللفكر

الفلسفى من وجه ما — من الغرابة ما فى الرسالة السابقة بالنسبة للفكر الإسلامى ؛ غير أن الكندى ينظر بمنظار شعرى ودينى تأويلى ، ولا يمكن أن نسقيم فكرته إلا على أنها رمز ، وإلا إذا تغيرت نظرتنا الساذجة للمادة ، وفهمنا الأشياء من حيث ما تومىء إليه وتعبر عنه بلسان معين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيق إلا بالله

رسالة الكندى إلى أحمد بن المعتصم

فى

الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عزّ وجلّ

أطال الله بقاك يا ابنَ الأئمة الأعلام ، والقادة الحكام ، منار الدين ، وشرف العالمين ، وخيرة الله من الخلق أجمعين ! وأدام صلاحَك بحياطته وتوفيقَك بإرشاده وحرزه[1] ، وصيّرك ممن تُرتَضى[2] أفعالُه ، ويَسْعَد حالُه !

فهمتُ ، أفهمك اللهُ جميعَ الخيرات ، ووفقك لفعل الصالحات ! ما ذكرتَ من محبتك ، أحبّ الله لك الرشدَ فى جميع أعمالك ، لوجدان[3] ما فُسِّرَ به قولُ الله ، جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه : « والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدان »[4] ، بمقاييس عقلية .

ولعمرى إن قولَ الصادق محمد صلواتُ الله عليه وما أدّى عن الله جلّ وعزّ ، لَمَوْجودٌ[5] جميعاً بالمقاييس العقلية ، التى لا يَدْفَعُها إلاّ من حُرم صورةَ العقل واتّحد بصورة الجهل من جميع الناس .

---

(١) حرزه حَرْزًا حفظه ، والحِرْز الموضع الحصين

(٢) فى الأصل : ترتضا

(٣) يعنى لمعرفة أو للوصول إلى فهم

(٤) سورة ٥٥ (الرحمن) آية ٦

(٥) يعنى لثابت أو معلوم ومفهوم ومعقول

فأما من آمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدّقه ، ثم جحد ما أتى [به] ، وأنكر ما تأوّل ذوو الدين والألباب ، ممن أخذ عنه ، صلواتُ الله عليه ، فظاهرُ الضعف فى تمييزه ، إذ يُبْطِلُ ما يُثبته[1] ، وهو لايشعر بما أتى من ذلك ، أو يكون ممن جهل العلة[2] التى أتى بها الرسولُ صلواتُ الله عليه ، ولم يعرف اشتباهَ الأسماء فيها والتصريفَ والاشتقاقاتِ اللواتى ، وإن كانت كثيرة فى اللغة العربية ، فإنها عامة لكل لغة .

فإن فى اللغة العربية أنواعاً كثيرةً من تشابه الأسماء ، حتى إن الإسم الواحد ليوضع على الضدّين جميعاً ، كقولهم للعادل[3] ، أعنى معطى الشىء حقه : عادلٌ ، ولضدّه ، الذى هو الجائر : عادلٌ .

والسجود فى اللغة العربية يُقال على وضع الجبهة فى الصلاة على الأرض وإلزام[4] باطن الكفّين والركبتين الأرضَ .

ويقال أيضاً السجود فى اللغة على الطاعة فيما ليست له جبهةٌ ولا كفّان ولا ركبتان . وجملة ما لايكون فيه السجود الذى فى الصلاة ، فمعنى سجوده الطاعةُ ، وقال النابغة الذبيانى :

سجودٌ له غسّانُ ، يرجون نَفْعَهُ وتُرْكٌ ورهط الأعجمين وكاهلُ[5]

فمعنى سجودهم طاعتهم : فإنه لايمكن أن يكون عنى[6] سجودَ الصلاة ، لأنه يقول : سجودٌ له ؛ وهذا يدل على أنه سجودٌ دائم ، وسجود الصلاة ليس يكون دائماً ؛ إنما عنى : طائعين :

---

(١) الكلمة غير واضحة — وقد تكون : يثبته ، يثبت ، يبينه ، بينه

(٢) هكذا فى الأصل ، ويجوز أن تكون : الغاية أو اللغة — فهو أكثر انتظاما مع السياق

(٣) فى الأصل : العادل

(٤) فى الأصل : والزمام

(٥) يُروى هذا البيت فى « العقد الثمين فى دواوين الشعراء الجاهليين » ، ط . جرايفسفالد ، ١٨٦٩ م ص ٣٤ ، على نحو آخر :

قعوداً له غسّانُ يرجون أوْبَه وتُرْكٌ ورهط الأعجمين وكاهلُ

(٦) فى الأصل : عنا — ومعناها قصد

والطاعة تقال على التغير من النقص إلى التمام ، كالذى يقال[١] فى النبْت ؛ فإنه إذا زكى ، قيل : أطاع النبت ، كقول الشاعر :

«أطاع[٢] لها بالروضة البقل» ، أى أثمر وزكى وكثر ، وكقول الشاعر أيضاً:

« أطاع له نَوْءُ[٣] السماك[٤] وأنجما[٥]» ، أراد أن النوء أطاع ، أعنى خرج من القوة إلى الفعل ، فخرج إلى التمام من النقص .

ويقال الطاعةُ أيضاً فى اللغة العربية على الانتهاء إلى أمر الآمر ، فيما لم يكن فيه نقصٌ ، ولم يكن يتغير من نقص إلى تمام ؛ فمعنى الطاعة فيه إذَنْ[٦] الانتهاءُ إلى أمر الآمر ؛ والانتهاء[٧] إلى أمر الآمر إنما يكون بالاختيار ، والاختيار لذى الأنفس التامة ، أعنى المنطقية[٨] .

وإذن[٩] الأشخاص العالية — إذْ لم يَبْقَ من معنى السجود لها إلا الانتهاءُ إلى أمر الآمر ، إذْ ليس لها الآلة التى يكون بها السجود للصلاة ، ولا هى منتقلةٌ من نقص إلى تمام ، إذ ليس يعرض لها الاستحالةُ ولا الكونُ — أعنى بالاستحالة تغيُّرَ المحمولات فقط ، وأعنى بالكون تغيرَ الحامل — [هى] ذوات طاعة[١٠] .

وبيِّنٌ أنها منتهيةٌ إلى أمر الآمر ، جلّ ثناؤه ؛ إذ هى لازمة أسراحا[١١]

---

(١) فى الأصل : قال

(٢) أطاع الثمر أدرك وأمكن أن يجتنى . وأطاع المرعى وطاع النبع وأمكن الرعى فيه

(٣) ناء النجم سقط فى المغرب مع الفجر وطلع آخر يقابله من ساعته فى المشرق ، وناء النجم أيضاً سقط وطلع — والنوء المطر أيضاً

(٤) السماك كان نجمان نيّران ، أحدهما رامح والثانى أعزل ؛ والرامح لانوء (لامطر) له ، والأعزل من كواكب الأنواء

(٥) أنجم الشىء ظهر وطلع ، وأنجم المطر والبرد وغيره أقلع

(٦) فى الأصل : إذا (٧) فى الأصل : الانتهى

(٨) هكذا فى الأصل ، ويستعمل الكندى فى مواضع أخرى من رسائله لفظ : النطقية

(٩) فى الأصل : اذا ، ولعلها محرفة أو زائدة

(١٠) زدت كلمة : هى ، للايضاح ، لأن الفاصل طال بين الأشخاص ، وهى المبتدأ ، وبين ذوات ، وهى الخبر .

(١١) سرح المال (الماشية) سرحا بمعنى سام ورعى بنفسه ، وسرح (بتشديد الراء)الراعى المواشى أسامها — والمقصود أن الأجرام العالية لها فى السماء سير وحركة أشبه بسير الماشية حين ترعى على وجه الأرض

من الحركة بلا تغير ، موجودٌ ذلك لها فى الأحقاب السالفة إلى هذه الغاية ؛ وموجودٌ بحركتها تغيرُ الأزمان ، و بتغيير الأزمان يتمّ كلُّ الحرث والنسل وجميع ما يكون و يفسد ؛ فهى لازمة أمراً واحداً ، لا تخرج عنه ما أبقاها باريها ، جل ثناؤه . و يكوّن كل كائن يكون ما أراد[1] كونه ؛ لأنه لم يُرِدْ ، جل ثناؤه ، فاسداً على ما هو عليه فى كونه ، ولم يكن ؛ وتحريكاتُها المسرّحة المنظومة التى لايختلف نظمُها تكون[2] ؛ فهى إذَنْ مطيعةٌ بيّنةٌ[3] الطاعة لما أراد بارئها ، جل ثناؤه ، مِنْ فعلى ما به بقاءُ ذواتها العظام إلى ما فرض لها من البقاء و بقاءُ ما يُفرض[4] له [الكون أو البقاء] بحركتها .

فإذا تقدم ما أردنا ، تقديمه من هذا القول ، فلنقلْ الآن فى الإبانة عن الجرم الأعلى من العالم بجميع أشخاصه ، أنه حىٌّ مُمَيِّزٌ ، ليتضح أنه مطيع طاعة اختيارية ، بأقاويل منطقية ظاهرة الإيضاح ، فنقول :

إنه قد تبين أن الفلك علةُ كونِ كلِّ كائن أو فاسد أحاط به الفلكُ ، القريبةُ[5] ، بما قدمنا فى القول على علة الكون الفاعلة القريبة . و تبيَّن[6] أيضاً ما نحن قائلون الآن ، فسنبين ذلك بعون ذى القدرة التامة والسيد الهادى ، جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه ، فنقول :

إن الفلك جرمٌ ؛ وكلُّ جرم فلايخلو من أن يكون إما حيًّا ، و إما لاحيًّا[7] ؛ والفلك إما حىٌّ و إما لاحىٌّ .

وكل علة طبيعية إما أن تكون عنصراً[8] و إما صورة[9] ، و إما فاعلا[10] ،

---

(١) لعل فاعل هذا الفعل هو الله

(٢) لعله يقصد أنها توجد بعد ان لم تكن

(٣) غير منقوطة فى الأصل

(٤) غير منقوطة ولا مشكولة ، فيمكن شكلها على نحو آخر ، هى وكلة فرض قبلها ، على المبنى للمعلوم أو المجهول — وفيما يلى زيادة مقترحة للإيضاح (٥) صفة علة — قبلها

(٦) غير منقوطة ، فيمكن نقطها أيضا على نحو آخر

(٧) فى الأصل : إما حى ، وإما لاحى — وقد صححتها هكذا

(٨) يعنى علة عنصرية — أى علة مادية (٩) يعنى علة صورية

(١٠) فى الأصل : فاعل

وإمّا [ما] من أجله فعلَ الفاعلُ مفعولَه[١] .

والفلك ليس بعنصر المكوّنات ، لأن العنصر المكوّنَ يستحيل من صورة إلى صورة ؛ والفلك غير مستحيل ؛

ولا هو صورة ، لأن الصورة غيرُ مفارقةٍ عنصرَها ، وهما موحّدان[٢] ، والفلك مفارق المكوّنات ؛

ولا هو ما من أجله كان الكونُ ، لأن ما من أجله كان الكونُ ، شيء يلحق الجسمَ ، كالتحصين الذى من أجله كان البيتُ ؛ فإن التحصين شيءٌ يلحق البيتَ ، [فهو] لاجسم ؛

فلم يَبْقَ إلا أن يكون الفلكُ علةً فاعلةً لكل مكوّن ، قريبةً ؛

ومِنَ المكوّن حيٌّ مكوّن ولا حيَّ مكوّن ؛ فالحيّ الذى تحت الكون منه لاحيّ ، وكذلك اللاحيّ الذى تحت الكون منه حيّ[٣] ؛

فالفلك ، كما قدمنا ، هو العلة القريبة الفاعلة لكل كائن فاسد أحاط به الفلك ؛

فالفلك هو العلةُ الفاعلةُ القريبةُ للحيّ الكائن الفاسد .

والحيّ الكائن الفاسد جرمٌ حسّاسٌ متحركٌ ؛ والجرم ليس الذى [هو] بكائن ولا فاسد ، بل مُبْتَدَعٌ لامن شيء[٤] ، وإنما يعرض الكونُ فيه ، فيكون حيًّا ويعرض فى الحيّ ألاّ يكون حيًّا ؛

فالفلك إذَنْ [هو] العلةُ القريبةُ لحياة الجرم الكائن بحياة ؛ فالحياة فى الجرم الكائن حيًّا صورةٌ للجرم الكائن حيا ، أثّرها[٥] فيه الفلكُ .

والعلة الفاعلة بما[٦] هى به علة أشرف من المعلول بما هو معلول ؛

---

(١) هاتان هما العلة الفاعلة (الفاعلية) والتمامية (الغائية) .

(٢) غير مضبوطة ولا منقوطة ، وقد صبطتها بحسب ما فى الرسالة السابقة ص٢١٨ مما تقدم .

(٣) فى الأصل : وكذلك الاحى الذى يكون تحت الكون ما يكون منه حى — وعلى كلة يكون الأولى وكلة الكون علامة إلغاء . وقد أصلحت العبارة فى مقابلة ما يتقدمها مباشرة .

(٤) هذه نقطة فى غاية الطرافة والأهمية فى فلسفة الكندى .

(٥) يعنى أحدثها أو أوجدها .

(٦) فى الأصل : أنما — وهى خطأ بلا شك .

وكل جرم علةٌ لشيءٍ جرمٍ فإنه فاعلٌ فيه أثراً ، وإن ذلك الأثر :

إما أن يكون طباعاً فى المؤثَّر يعترضه[١] المؤثِّر فيه بالغلبة ، كحرارة النار التى هى فيها طباعاً ، تُعْرِضُه[٢] فيما سخّنت ، فيكون فى المسخَّن أثراً عارضاً ؛

وإما أن يكون الأثر ليس فى المؤثِّر طباعاً كالحيطيّة[٣] التى ليس[٤] فى البانى طباعاً ، وليس بموجود فى غير المؤثِّر[٥] فيه ، كالعشق المؤثِّر فى العاشق للمعشوق عشقَ العاشق له ؛

فإذن[٦] كلُّ جرم يؤثر ما ليس فى طباعه فى جرم آخر :

إما أن يؤثر فيه ذلك بحركة المؤثِّر ، فى الحيطية فى الذى كان حائطاً[٧] ، بحركة البانى ؛

وإما أن يؤثره فيه بلا حركة ، كالعشق فى الذى كان عاشقاً بلا حركة المعشوق .

والعشق إما أن يكون بتوسّط الحسّ بالفعل كعشق العاشق محسوسَه ، وإما بلا توسّط الحس كعشق طباع الحديد حجرَ المغناطيس واتصالِه به بحركة إليه ، حيث كان | ذلك العشق |[٨] طبيعتَه فقط لا بتوسط حسّ ، كالحياة[٩] فى الجرم الكائن حيّاً بلا توسط الحس ، لأنه لم يكن حاسّاً بالفعل قبل أن يكون حيّاً .

فإذن إما أن يكون يعشق بلا توسط الحس بالفعل ، وإما أن لا يكون كذلك ، أى لا يعشق بتّةً : والعشق بلا توسُّط الحس هو سلوك طبيعى إلى

---

(١) هكذا فى الأصل بدون نقط ، وهى مفهومة لكن لعلها : يُعْرِضه ، أى يحدثه عارضا — لكن يحسن فى هذه الحالة ، لكى تصل فى القراءة إلى أكثر من وجه ، أن نزيد كلمة فى بعد كلمة يعرضه ، ويجب ضبط كلمة المؤثر بحسب ما نختاره

(٢) غير منقوطة ولا مشكولة .

(٣) الحيطية والمائطية مصدر صناعى من الحَيْط والحائط يعنى الجدار .

(٤) هكذا فى الأصل — وقد تركتها كما هى .

(٥) ويمكن أن تضبط على نحو آخر . (٦) فى الأصل : فاذا .

(٧) يعنى : فى إيجاد صورة الحائطية فى الشئ الذى يصير حائطا .

(٨) زيادة للايضاح .

(٩) من هنا مثال على العشق بتوسط الحس .

الاتحاد بالمعشوق ، إما بالجسم ، وإما بالطبع — أعنى السلوك الطبيعى إلى الاتحاد بالمعشوق، بالجسم كسلوك الحديد إلى حجر المغناطيس ليتحد جسمُه بجسمه ؛ وأعنى بالسلوك الطبيعى إلى[1] الاتحاد بالطبع ، كسلوك الذى [لا][2] يكون أفضل إلى الفاضل بالطبع ، فيكون أفضل ، كالخروج من القوة إلى الفعل .

فإذَنْ كل جرم يؤثر فى جرم أثراً :

إما أنْ يؤثر ذلك بالطبع كحرارة النار التى قدمنا ذكرها ، فإذَنْ إنما يؤثر أثراً ، هو فى طباعه ؛

وإما أن يؤثر فيه بالشوق الطبيعى ، أعنى الخروج من القوة التى فى المؤثَّر [فيه][3] إلى الفعل الذى فى المؤثِّر ؛

وإما أن يكون ذلك بأن يؤثر فى المؤثَّر[4] فيه ما ليس فى طباعه كالخيطية — التى ليس فى طباع البانى ، أى ليس هو حائطاً[5] بتّة — فى الخيط ؛

وكلُّ جرم يؤثر فى غير [ه][6] ما ليس فيه طباعاً ، فإما أنْ يؤثر ذلك بآلة غير خارجة عن المؤثِّر ، كاليدين والرجلين وجملة آلة حيوانية، أعنى بآلة متحركة فى الجرم من ذاتها[7] ، غير خارجة عن الجرم ؛ فأما الجرم المؤثِّر فى معلوله ما هو فيه طباعاً ، فليس يؤثر ذلك بآلة حيوانية .

والفلك جسمٌ يؤثر فيما تحته الحياةَ ؛ فليس يخلو من أن يكون يؤثر فيها بآلة حيوانية ، فهو حيوان ؛ وإن كان لا يؤثر بآلة حيوانية فإما [أن] يؤثر إذَنْ[8]

---

(١) فى الأصل : أى .

(٢) زيادة وجدت أنها لازمة منطقيا .

(٣) زيادة للايضاح .

(٤) يمكن أن تكون اسم فاعل أو اسم مفعول وفهم الفكرة بحسب الوجهين .

(٥) فى الأصل : حائط .

(٦) زدت الهاء قياسا على ماسبق ، وإن كان يمكن أن نستغنى عنها إذا نوّنّا كلمة غير .

(٧) هكذا فى الأصل ، وكان يخطر لى تصحيحها : من ذاته ، ليعود الضمير على الجرم .

(٨) فى الأصل : إذا .

ما هو فى طباعه أن يفعل : بالشوق أو بالغلبة[١] ؛ لأن ما هو بالفعل هو فى طباعه ؛ فالحياة فيه إذَنْ طباعا[٢] ، فهو إذَنْ حيوانٌ اضطراراً .

ونقول أيضاً : إن كانت الأشياء ، كما قدّمنا وأوضحنا فى الفلسفة الأولى[٣] :

إما شيئاً بالفعل أبداً ؛

و إما بالقوة أبداً ؛

و إما بالقوة ، ثم يخرج إلى الفعل ؛

وكان[٤] الذى بالفعل أبداً[٥] أقدم من الذى بالقوة ثم خرج إلى الفعل — لأنه علة خروجه إلى الفعل ؛ لأن كل ما خرج من القوة إلى الفعل ، فبشىء هو ذلك الشىء بالفعل ، أخرج الذى بالقوة إلى الفعل ، لأنه [لو أو إنْ] لم يكن كذلك ، فإنه بذاته خرج إلى الفعل ، فهو أبداً ، إنْ كانت له ذات ، خارجٌ إلى الفعل ، فهو إذَنْ أبداً خارجٌ ؛ وقد قيل إنه خرج من القوة إلى الفعل ؛ و إن كان لاذات له ، فليس هو علةً لشىء بَتّةً[٦] .

فإذَنْ إنّ كلّ شىءٍ خارجٍ من القوة إلى الفعل ، فهو ما [يقع] تحت الكون ؛ إذْ هو خارج أبداً من حال قد كانت له بالقوة ؛

و إنْ كان شىءٌ بالفعل أبداً ، لم يكن بالقوة ، فهو الذات التى لا تقع تحت الكون ؛

فإذَنْ ما ليس تحت الكون علةُ خروج ما تحت الكون إلى الكون الذى كان له بالقوة ؛

---

(١) أما بالشوق فمثل ماتقدم من كلام المؤلف عن الشوق بمعنى الخروج من القوة إلى الفعل ، وأما بالغلبة فكالمغناطيس والحديد فيما يظهر — هذا إذا لم نرد بحثا فى علاقة الفعل بالشوق والغلبة بما يذكر عن أنباذوقليس .

(٢) هكذا فى الأصل . وهو جائز على أساس تقدير خبر محذوف .

(٣) هذا التقسيم التالى غير موجود فى الجزء الذى بين أيدينا من كتاب الفلسفة الأولى .

(٤) معطوفة على كانت ، قبل ذلك .

(٥) فى الأصل : وكان الذى يفعل فالقوة أبدا — وقد أصلحتها بحسب منطق الفكرة فيما يلى — إلا إذا كان المقصود بالعبارة الأصلية ماهو فاعل بالقوة أبدا ، وهو بعيد .

(٦) فى الأصل : منه .

فإذن الجرم الأقصى ، إذ هو متحرك حركة دائمة لا كون فيها ، ذات سرح [١] ونظم ، فهو علة ما تُخرج [٢] تلك الحركة من القوة إلى الفعل :

والحركة الذاتية ذات النظم والسرح فى الأجسام التى تحت الكون هى الحركة الحيوانية : فإن النفس دائم فى الحى بنظم وسرح ، حتى يعرض له فساد تلك الحركة التى يُسمى من صار إليها : لاحيًّا [٣] ، أو عادم حياة أو ميتاً [٤] :

فإذن [٥] هذه الحركة ، أعنى الدائمة الذات بنظم وسرح فى الجرم الأقصى هى حركة حيوانية غير مستفادة من جرم آخر ، كما استفادها منه الجرم الواقع تحت الكون :

فإذن الجرم الأقصى حى بالفعل أبداً ، مفيد الجرم الأدنى الواقع تحت الكون ، الحياة — اضطراراً :

فإذن قد اتضح أن جرم الكل حى ، أعنى الجرم الأقصى . وأن حياة الأدنى منه ، علتها حياة الجرم الأقصى الدائمة المسرحة ذات النظم : وأنه ، إذ لا يمكن المعلول أن يساوى العلة فيما هى فيه علة [٦] ، لم يمكن الجرم الكائن [٧] أن يكون دائم الحياة بالشخص ، كالجرم الأقصى : فصار دائم الحياة فى النوع : لذلك [٨] أيضاً صار الجرم الأقصى حيًّا بحركة ، إذ علته حى بلا جرم ولا حركة [٩] .

---

(١) على السين فى هذه الكلمة وفى نظائرها فيما بعد ثلاث نقط ، ويظهر أن هذا يرجع إلى طريقة الناسخ أحيانا أو إلى خطأ منه .

(٢) مفعول تخرج مقدر يعود على ما .

(٣) ، (٤) فى الأصل : لاحى ، ميت . (٥) فى الأصل : فادا .

(٦) هكذا فى الأصل — ويمكن بحسب ص٢٤٨ مما تقدم ان يكون معناها : فيما هى به علة .

(٧) يعنى الحادث .

(٨) يمكن أيضا فى الأصل قراءتها : كذلك .

(٩) يصعب فهم هذه الجملة ، فعلة الجرم الأقصى المبتدعة له هى الذات الالهية ، وهذا ما يفهم من كلام الكندى فيما يلى ص٢٥٣ وفى ص٢٤٨ مما تقدم ؛ ولكن الجرم الأقصى عند الكندى كائن حى ذو نفس والعقل ، فهل علة حركته النفس ؟ حتى لو كان هذا كذلك ، فالمعروف بحسب الفكرة الأساسية للكندى أن الفاعل الأول هو الله .

فمِنَ الحيوان إذَنْ كائنٌ من غيره فاسد إلى غيره ، ومنه لا كائنٌ ولا فاسد ؛ لأن الفلك قد تقدم الإيضاح أنه غيرُ مكوَّن من غيره ، بل مُبْتَدَعٌ إبْداعاً[1] عن ليس ؛ وليس بفاسد إلى غيره ، لأنه قد تقدم أن كل فاسد فإلى ضدٍّ فساده يفسد[2] ؛ وأنه لاضدَّ للفلك ، كما تقدم فى القول على الفلك ؛ وأن الحى إذَنْ منه[3] نام ومنه لا نام[4] ؛ فالخاصة إذَنْ الباقية للحى أنه حسَّاس متحرك ؛ فالفلك حىٌّ ، فهو حساس متحرك ، أىْ له قوةَ الحسّ .

والأشياء الكائنة لعلة ما . إذا ارتفعت تلك العلةُ ارتفع المعلول ؛

و بعض آلات الحس فى النامى عرضت للنمو لا لغير ، وهو[5] المذاق[6] ، لأن المذاق للغذاء ، والغذاء للنمو ؛

والفلك لانامٍ ، فالفلك لايغتذى ، فالفلك لا ذائق ، وآلة حسّ المذاق ليس[7] له ؛

وليس له حسُّ الشم ، لأن الشم أيضاً للغذاء ، لأنه لتمييز المذاق والمفاسد للغريزة[8] بما يقبل منه ؛

والغذاء للنامى ، والفلك لانامٍ ، كما[9] قدمنا ، وآلة حس[10] ، فآلة حس الشم ليس له .

وأيضاً ليس له آلة المجسّ[11] ، لأنه لاينفعل من غيره ، إذ قد اتضح أنه

---

(١) هكذا فى الأصل ، فلعلها تحريف عن : ابتداعا .

(٢) هكذا العبارة فى الأصل ،وإما أن تكون : ضدّ فسادُه يفسد . وإما أن تكون كلة يفسد زائدة ، وإما أن تكون العبارة ، أيضا : فإلى ضده يفسد .

(٣) كلة منه مكررة . وفيما يتعلق بأن الفلك لاضدّ له ، راجع رسالة الكندى فى طبيعة الفلك.

(٤) فى الأصل ، نامى ، ولا نامى ، وكذلك فيما يلى .

(٥) هذا الضمير يعود على بعض أو آلات . (٦) يقصد آلة الذوق وحاسته .

(٧) هكذا فى الأصل ، ولعل أجيتها .

(٨) فى الأصل : وفاسد للغريزة ، وهو مفهوم — وقد صحت العبارة لأن الكندى يستعمل كلة الفاسد فى معنى الضاد المفسد . فالمعنى أن الشم يميز المذوقات ويعرف ما يضاد الطبيعة منها ، فيقبل أو يرفض . (٩) ويمكن بحسب طريقة الناسخ أن نقرأها : لما .

(١٠) هكذا الأصل ، ولا شك أن عبارة : وآلة حس ، زائدة ، أو سقط بعدها شىء .

(١١) يقصد آلة اللمس .

لا يلحقه استحالة بتّة ؛ وإنما الحِسّان الشريفان ، أعنى السمع والبصر ، اللذان[١] هما فى الحى الكائن الفاسد سبب العلوم الحقية[٢] ، فلم يَعْدَمْهما[٣] الفلك ، لأنهما ليستا[٤] بآلة النمو ، وإنْ كانتا عظيمتى الغناء فى النماء ، ولكن لنيل الفضائل ، إذْ بهما جميع التعاليم المطرّقة[٥] إلى جميع علم[٦] الفلسفة المعطية كلّ فضيلة .

فلنبحثْ الآن هل الأجرام الفلكية ذات نطق أم لا ، فنَقُلْ[٧] : إذا اتضح ما قدمنا [من] أن الأجرام الفلكية حيّةٌ ، وأن الخاصة اللازمة للحى هو[٨] الحس ، وأن للأجرام الفلكية الحسّ البصرى والحسّ السمعى فقط من بين أنواع الحس — وهاتان الحاستان ، لأن بهما السبيل إلى تلك الفضائل ؛ فإنْ لم يكن بالأجرام الفلكية نيل الفضائل — فليس ما لها[٩] للنمو ، لأنه لا نام — فكونها له لا لعلّة ، فهما إذَنْ لاعلة [لها][١٠] ؛ وليس فى الطبيعة شىءٌ عبث وبلا علة ، فهما إذَنْ لما[١١] هما سببُه أولها بسببه[١٢] ، أعنى بتمييز ؛ فالأجرام الفلكية إذَنْ لها قوة التمييز ، فهى إذَنْ ناطقة اضطراراً .

وأيضاً لا تخلو أن تكون ناطقة ، أو لا ناطقة ، والجرم الناطق أشرف من الذى [هو] لا ناطق ؛

---

(١) فى الأصل : اللتان .

(٢) على هذه الكلمة نقطة واحدة فوقها — وقد آثرت قراءتها : الحية ، لكثرة استعمال الكندى لهذه الكلمة .

(٣) فى الأصل : يعدمها .

(٤) هكذا فى الأصل : وقد تركتها ، لأنها تعود على الحواس .

(٥) لعله يقصد الموصلة أو المؤدية .

(٦) وفوق هذه العبارة ، فى الأصل ، عبارة : علم جميع ، والمعنى واحد .

(٧) هكذا فى الأصل ، بدون نقط ولاشكل ، وهى فى القالب معطوفة على : فلنبحث .

(٨) تركتها هكذا .

(٩) فى الأصل : مما له — وقد صححتها .

(١٠) هنا وكل مابين القوسين المضلعين زيادة إما للايضاح وإما لملء أجزاء مخرومة أو ساقطة .

(١١) يمكن قراءتها : بما .

(١٢) لعله يقصد أنهما موجودان للفلك ، لما هما سبب ووسيلة إليه وغاية له ، أو هما سبب ما لها من الشأن لأجله — وهو قوة التمييز والفكر .

فإن كانت لا ناطقة ، فنحن أشرف منها ؛

وهى علةُ كوننا القريبةُ ، كذلك رتّبها البارى ، جل ثناؤه — كما أوضحنا فى كتاب علةِ الكون والفساد القريبةِ ؛

فهى علةُ كوننا[1] الفاعلة نُطقَنا ، الذى هو نوعُنا ،

وهى لا ناطقة ،

فالمعلول إذَنْ أشرفُ من العلة ،

وقبيحٌ أنْ يَظنَّ هذا أحدٌ ؛

فلا يخلو أن تكون فعلتنا ناطقين بأن أثّرت فينا ما هو فيها[2] طباعاً ، أو بآلة حيوانية ؛

فإنْ كانت فعلت فينا النطق بتأثير ما هو فيها طباعاً ، فهى ناطقة ؛ وإن كانت فعلت ذلك بآلة حيوانية ، فالآلةُ التى تفعل بها [هى] الأتقنُ الأحكم ، إذ القوة المنطقية أتقن القوى : فبآلةٍ أثرت فينا القوةَ المنطقيةَ . وآلة التمييز تسمى[3] النطق ، فهى إذَنْ ناطقة اضطراراً ؛ والذى فرضنا أنها لا ناطقة فهى [ناطقة] لا ناطقة — هذا خلف لا يمكن ، فلم يبق إلا أن تكون ناطقة .

ونقول أيضاً إنه قد تبين أن القوى النفسانية ثلاثة[4] : نُطقية وغضبية وشَهَوية ، وأن الشهوية والغضبية حاجة الحى إليها[5] لبقاء صورته ولإخلاف ما سال من جرمه[6] ؛ فهما عارضتان للحى الكائن الفاسد عرضاً ، لإصلاح الخلل فيه ؛ والمنطقية لتمام فضيلته .

وإن كانت الأجرام الفلكية لا تحتاج إلى حفظ صورتها بالولاد[7] والتناسل

---

(١) أى وجودنا وحدوثنا .
(٢) فى الأصل : فيه .
(٣) فى الأصل : سمى .
(٤) فى الأصل : ثلثة — وكذلك فيما يلى .
(٥) هكذا فى الأصل — وقد أغفلها ، لأنها تعود على المعى .
(٦) يعنى لتعويض ما تحلّل وخرج من جسمه .
(٧) هكذا فى الأصل ، وهو صحيح .

و[لا] لإخلاف السائل من أجرامها، لأنها لايلحقها استحالةٌ من شخص إلى شخص، فإن القوتين اللتين [هما] لذلك ثابتتان[١] — [و] هما الغضبية والشهوية — ليست لها؛

فإنْ لم تكن القوة المنطقية لها، فهى لاحيّة؛ لأن ما عَدِم هذه الثلاث، فليس بحيوان بتّةً؛ وقد قدمنا أنها أحياء، فهى إذَنْ ناطقة اضطراراً — إنْ كان ما قدمنا حقًّا.

ونقول أيضاً إنه قد تقدم فى الأقاويل الرياضية أن قطر كرة الأرض ٧٦٣٦ ميلا وثلاثة أثمان ميل إلا جزء من ثمن[٢] ميل[٣]؛ فلو رُصف الناس على ظاهر كرة الأرض قياماً، كانت الكرة الحادثة منهم سمكها سبعة أشبار؛ فإنْ أُضيفت إلى كرة الأرض التى قدّرُها ما ذكرنا، لم يكن لها فيها قدرٌ محسوس.

وقد تقدم فى الأقاويل الرياضية أن كرة الأرض فى فلك الكواكب الثابتة كالعلامة لاقدَرَ لها فيه محسوسا، لأن قطر الكرة التى من مراكز[٤] الكواكب الثابتة فى سطحها عشرون[٥] ألف ضعف لقطر كرة الأرض؛ فهذه الكرة المكوكبة سوى الكرة التى ليست بمكوكبة مثل كرة الأرض ثمانية[٦] آلاف [ ][٧] أضعاف لكرة الأرض؛

فإذا أُضيف الناس الذين لاقدر لهم، ملاء[٨] وجه الأرض منهم، إلى هذه الكرة التى وصفنا، أعنى الكرةَ المكوكبة وما فيها، لم يكن لهم قدرٌ محسوس، وكادوا لايكونون شيئا بتّةً، قِلّةً؛

---

(١) يقصد: موجودتان أو قائمتان لذلك — وفى الأصل: ثابتين. وقد أُثبت ليست فى السطر التالى كما هى.

(٢) غير واضحة فى الأصل.

(٣) العبارة كلها بعد كلمة أثمان، غير منقوطة ولا واضحة المعنى — وهى ليست جوهرية لفهم الفكرة.

(٤) هكذا فى الأصل.

(٥) فى الأصل: عشرين.

(٦) فى الأصل: ثمنية.

(٧) ها بياض قليل.

(٨) فى الأصل: ملا.

فإن كانوا هم فقط ناطقين — والناطق أفضل من لاناطق — فإن الأفضل من جميع الكل هو الذى كاد أن يكون لاشىء[١] ، لقلّته ، عند الأخس ؛ ومن ظن ذلك ، صيّر قدرةَ الله ، جلّ ثناؤه ، التى لاتضيق عن شىء ، أضيقَ من قدرة الرجل الصالح ، الذى أكثرُ أعماله الأمرُ الأفضل ؛ وهذه الصفة لاتشبه[٢] مايستحق[٣] جلّ ثناؤه من التمجيد الأعلى . بل قدرتُه [هى][٤] التى لا تعجز عن شىء ، وخَلقُه [هو] الأتقن الأفضل ؛

ومن ذلك صيّر اللاتى لا تقع تحت الفساد زمنَ مدتها التى فرض لها ، جلّ ثناؤه ، أعظمَ كثيراً من[٥] اللاتى تقع تحت الفساد — أعنى بالوقوع تحت الفساد الانتقالَ من عين إلى عين[٦] ؛

ولأن [له] القدرة [على] إخراج المعانى[٧] إلى الكون ، خلَق الكلّ جواهر[٨] : إما بسيطة ، وإما مركبة ؛ والبسيط لا العنصر والصورة[٩] ؛ والمركبة عنصرٌ مصوّرة[١٠] ؛ والعنصر المركبة إمّا حىٌّ ، وإما لاحىٌّ ؛ والجوهر الذى

---

(١) هكذا فى الأصل — وقد أبقيتها ، لأن ذلك جائز لغة

(٢) قراءة اجتهادية — لأن الكلمة غير واضحة تماما

(٣) يعنى مايستحقه الله الخ .

(٤) هذه وما بعدها زيادة للايضاح .

(٥) فى الأصل : مما

(٦) يمكن أيضاً أن نقرأها : من غير إلى غير ، بمعنى من ضد إلى ضده . ولكن نظراً لما يقوله الكندى فى ص ٢١٧ مما تقدم مثلا ، آثرت هذه القراءة

(٧) هذه كلمة تستلفت النظر — فهل المقصود منها الأشياء والموجودات أم المعقولات التى فى العلم الالهى ؟

(٨) فى الأصل جواهرا

(٩) هذه الجملة هكذا فى الأصل — فهل يقصد بالبسيط شيئاً مادياً آخر غير المادة والصورة؟ هذا غير مألوف . لأن كل شىء مادى مؤلف من مادة وصورة حتى الملك (أنظر ص ١٦٩ مما تقدم)؟ فلعله يقصد بالبسيط الجواهر غير الجسمانية ، كالنفوس أو الصور النوعية . إن الأقرب للصواب هو أن تكون كلمة «لا» تحريفاً عن : هو ، بحيث يكون المعنى أن البسيط هو العنصر أو الصورة ، كل على حدته ؛ أو تكون العبارة ، كما هى ، صحيحة ، لكن بمعنى أن البسيط ليس هو العنصر والصورة معا ، لأن هذا هو المركب

(١٠) هكذا فى الأصل ، وقد أبقيتها

لاحىّ [هو] الجوهر الذى لانفسانى ، والجوهر النفسانى [هو] الأشخاص العالية أوالحرث والنسل :

وصير الجوهر النفسانى إما ناطقا وإما لاناطقا[١] : والناطق [هو] الأشخاصُ العالية والإنسان ، [والذى] لاناطق [هو] الحرث والنسل ؛ وصير الناطق : إمّا واقعاتحت الفساد ، وإما لاواقعا[٢] تحت الفساد ، مدّتَه التى فرض له ، كلُّه ولكلّ شخص منه معا ؛ فالذى هو كذلك الأشخاصُ العالية ، والواقع كلُّ شخص شخص[٣] منه تحت الفساد ، اللازمةُ له الاستحالةُ أولاً فأولاً ، هو الإنسان ؛

و [الذى] لاناطق منه حسّاس ، هو الحيوان غير الناطق ، ومنه لاحساس ، هو النامى أجمع :

ولا حىّ منه حارٌّ يابس ، وهو النار ؛ ومنه[٤] حار رطب ، وهو الهواء ؛ ومنه بارد رطب ، وهو الماء ؛ ومنه بارد يابس ، وهو الأرض ؛

وصير جميعَ الخلْق متحركا حركة مكانية : إمّا ذاتَ ضدٍّ وإمّا لاذات ضدّ ؛ وصير اللاتى لا ضدّ لها فيما لا يعرض فيه الفساد[٥] ، أعنى فى الجرم الأعلى ؛ لأن الأضداد إنّما تستحيل ويفسد بعضها إلى بعض ؛ فأمّا ما لا ضد له فليس له ما يستحيل إليه بتّةً ؛

وصير الذى لهذه الحركة أكبرَ الكلّ ؛ وهذه الحركة هى الحركة المستديرة ؛

وأما الحركة المتضادّة فهى المستقيمة ، التى تبتدى من موضع وتنتهى إلى غيره ، فإنه يمكن أن يكون لها ضدٌّ ، وهى التى ابتدأت من تمام [الأولى][٦] وتمّت فى موضع ابتداء الأولى[٧] ؛

---

(١) و (٢) فى الأصل : ناطق ، ولا ناطق ، واقع ، ولا واقع

(٣) لعل هاهنا تكراراً وإن كان التعبير صحيحا ، بمعنى كل واحد

(٤) فى الأصل من ، ووقفها كلمة : منه

(٥) يعنى فى الشىء الذى لايعرض فيه الفساد ، مقصورة عليه .

(٦) يعنى الحركة المضادة (٧) فى الأصل : الأول — وهو يقصد المعنى ، ولذلك فكلمة الأول تعود على الضد ؛ ولكن صححتها وأضفت ما يزيد كلامه وضوحا — راجع رسالة فى أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة لتجد كلام الكندى عن نوعى الحركة .

فلأنّ المستديرَ لا يمكن أن يتحرك إلا على ثابت فى وسطه ، فصير جرماً ثابتاً فى وسطه ، أعنى وسطَ الكلّ ، وهى الأرض ؛ وتلاها بالماء . وصير لها حركة طباعية قسراً إلى الوسط ، لتثبت فى الوسط ، وتقف هناك ؛ ويسلك ماتباعد عن مكانه منها قسراً إلى الوسط سلوكا طبيعيا ؛

ولأنّ الحركة إلى الوسط ذات ضدّ ، صير جرما ثابتا يتحرك من الوسط ، وهو النار والهواء ؛ لأن الكيفيةَ الفاعلةَ فيهما[١] واحدة ؛

ولأن هذه[٢] أضدادٌ ، لزِمها التغييرُ فى أجزائها ؛

ولأن الجميع من الحرث والنسل توجد فيه جميعُ الكيفيات ، تفسد أشخاصُها وتبقى الصورةُ ، ما فرض[٣] لها لصورتها من المدة ؛

ولأن الحركة : إمّا مكانية ، وهى اللازمة لكل جرم ؛ وإما غير مكانية ، وهى : [إما] ربُوٌّ ، وإما نقصٌ ، وإما كَوْن ، وإما فساد ، وإما استحالة ؛ وهذه جميعا انفعالٌ من هذه الحركات فى الجرم الأسفل المنفعل ، وأعدَمها[٤] الجرمَ الأعلى .

فهذه هى القدرةُ الحق الفاعل للحق ، إذ هى إخراجُ كل ما هو بالقوة إلى الفعل الذى ليس بمحال ؛ وهذا هو السجود الحق للجوّاد[٥] فى القيض بكل فعل غير محال ؛ وهذه هى السياسة الحق من السائس الحق ، هى الفعلُ الأصلح من كل مفعول .

فهذه التى[٦] ينبغى أن تُحِسّ[٧] بها عِظَمَ قدرة الله جل ثناؤه ، وسعة

---

(١) فى الأصل : فيها

(٢) هكذا فى الأصل ، وقد أبقيتها — وهذه تعود على النار والهواء

(٣) الفاعل المفرض هو الله — ويجوز أن نعتبر الفعل مبنيا للمجهول ، والفاعل الله ، ونائب الفاعل متعلق من المدة

(٤) الفاعل هو الله

(٥) فى الأصل الجواد فلعل الصواب : السجود للحق الجواد الخ

(٦) فى الأصل : الذى

(٧) فى الأصل غير منقوطة ولا مشكولة ، وكذلك الأفعال التالية — ويمكن أن تقرأ على نحو آخر بتغيير الضمير الى المتكلم

جوده ، وفيض فضائله ، وإتقان تدبيره ، وأن يتعجبَ منها ذوو العقول النيِّرة ، ولا يسموّ شجرة[١] أو عظم حيوان كحوت أو تِنّين أو لجاة[٢] أو فيل وما أشبه ذلك — فإن هذه أشبه بعجائبها بقدرته العامة ، وأن تتوهّم الكلَّ حيوانا واحداً مفصلا[٣] ، إذْ هو جرمٌ ولا فراغ فيه ؛ وفى أكثره — أعنى الجرم العالىَ الأشرفَ — القوةُ النفسانيةُ الشريفة [الفاعلةُ] فيما دونه هذه القوى النفسانيةَ ، على قدْر[٥] الأمر الأصلح فى كل واحد من ذوات الانفس ، كإنسان[٦] واحد ؛

ولذلك ما سمّى ذوو[٧] التمييز ، من حكماء القدماء من غير أهل لساننا ، الأنسان عالماً صغيراً ؛ إذ فيه جميعُ القوى التى هى موجودة فى الكل ، أعنى النماءَ والحيوانيةَ والمنطقيةَ : وفيه الأرضيةُ كالعظام وما أشبهها ، والمائيةُ كالرطوبات التى فيه وكالأوردة وكالنقاع[٨] من الأوردة والمعدة والمثانة وما أشبه ذلك ، وكالمعادن المبثية[٩] ، والصمغة كالمخ والعصب ، وكالهواء جوُّ باطنه وجميع جوفه ، وكالنار حرارتُه الغريزية ، وكالنبات شعرُه ، وكالحيوانات المتولدة فيه الحرشات[١٠] المتولدة

---

(١) قراءة اجتهادية

(٢) فى الأصل لحاه — مع عدم وضوح الحرف الأخير . ولم أجدها فيما بحثت فيه من قواميس . أما اللجا ومؤنثها اللجاة فهو الضفدع ، وهو وإن لم يكن بالحيوان العظيم فهو حيوان أرضى مائى .

(٣) هكذا فى الأصل — وكان يخطر لى تصحيحها ، تبعا لما يلى .

(٤) زيادة — لأنه يظهر أنه سقط من النص كلام فى موضع ما

(٥) فى الأصل : قدرة

(٦) عائد التشبيه هنا على الجرم الأعلى فى الغالب

(٧) فى الأصل : ذوى

(٨) غير منقوطة فى الأصل — وفى اللغة : نقع الماء فى الوادى اجتمع ، والنقع الماء المجتمع ، والنقاع بفتح النون إناء يقع فيه الشىء ، والنقع (جمعها نِقاع وأنقع) هو الأرض الطين التى يستنقع فيها الماء — فلعل الكندى يقصد المواضع التى تجتمع فيها السوائل

(٩) غير منقوطة ، فيمكن قراءتها على أكثر من وجه ويجوز أن يكون قد سقط بعدها شىء

(١٠) غير منقوطة — والحراش بتشديد الراء الحية ، والحريش دويبة هى أم أربع وأربعين وهى صنف من الحيات . والحارش ثور تخرج فى ألسنة الناس والأبل . أما الحرش فهو الذباب وحرشاء العسل شمعه وما فيه من ميت نحله — والكندى يقصد الطفيليات التى تتولد فى الإنسان

فى باطنه وظاهره ، وكالأحداث التى تحدث دون فلك القمر من مطر ودوىّ وريح وخسف وقذف وزلزلة وغير ذلك ، فإن لكل واحد من هذه فيه شِبْهًا[1] ؛

فما الذى يُنْكَر من أن تكون القدرةُ الحق التامة مثَّلتْ الكلَّ مثالَ حيوان واحد ، موجودٌ فيه جميعُ ما يوجد فى الكل ، وإنسانٌ[2] واحد توجد فيه جميع هذه ، و[لا] سيما ليس يخالف ذلك خبرُ الصادق محمد عليه السلام — كما قدمنا فى صدر كتابنا ؟؟!!

وإذْ قد تبين ما أردنا تبيينه فلنكملْ هذا القول بتأييد ذى القدرة وتوفيقه.

تمت الرسالةُ والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد المصطفى وآله الطاهرين.

---

(١) الشبه بكسر الشين وسكون الباء ، أو بفتحها وفتح الباء هو المثل أو الشبيه

(٢) من هنا جملة حالية فى الغالب